١ ـ فى الحديث المحمدى

للأستاذ محمود أبو رية

نستخير الله اليوم فى أن نفى بما وعدنا به قراء الرسالة الغراء فننشر فصولا مختصرة من بحث مستفيض قصرناه على الكلام (فى الحديث المحمدى) والله نسأل أن يعصمنا من الزلل ويلهمنا التوفيق فى القول والعمل

محمود أبو رية

مما لايكاد يختلف فيه اثنان ، أو يحتاج فى إثباته إلى برهان ، أن للحديث المحمدى من جلال الشأن وعلو القدر ، ما يدعو إلى العناية به ، والبحث عنه ، حتى يدرس ما فيه من دين وأدب ، ويعلم ما يحمله من أخلاق وحكم

وعلى أنه بهذه المكانة الجليلة ، والمنزلة الرفيعة ، فإن العلماء والأدباء لم يولوه ما يستحق من العناية والدرس، وتركوا أمره لمن يسمون برجال الحديث يتداولونه بينهم ويدرسونه على طريقتهم . وطريقة هذه الفئة التى اتخذتها قامت على قواعد جامدة لا تتغير ولا تتبدل . فترى المتقدمين منهم وهم الذين وضعوا هذه القواعد قد حصروا عنايتهم فى معرفة رواة الحديث والبحث — على قدر الوسع — فى تاريخهم ، ولا عليهم بعد ذلك إن كان مايصدر عن هؤلاء الرواة صحيحا أو غير صحيح، معقولا أو غير معقول، أى أنهم وقفوا عند البحث فيما يتصل بالسند فقط ، أما المتن فلا يعنيهم من أمره شئ

ثم جاء المتأخرون فقعدوا وراء الحدود التى أقامها من قبلهم ، لا يتجاوزونها ولا يحيدون عنها ، وبذلك جمد علم الرواية منذ القرون الأولى لا يتحرك ولا يتغير ، ووقف هؤلاء وهؤلاء عند ظواهر الحديث كما أدت إليه الرواية مطمئنين إليها آخذين من غير بحث ولا تمحيص بها (١)

وعلى أنهم قد بذلوا أقصى جهدهم فى دراسة علم الحديث من حيث روايته حتى قيل : (إن علم الحديث قد انطبخ حتى احترق) فإنهم قد أهملوا جميعا أمرا عظيما يجب أن يعرف قبل النظر فى كتب هذا العلم ودرس ما فيها ، وذلك هو البحث عن النص الصحيح لما تحدث به النبى (ص)، وهل كتبه عند إلقائه كما نقل بالقرآن؟ أو أهمله ونهى عن كتابته ! وهل دونه الصحابة ومن بعدهم أو أمسكوا عن تدوينه ؟ وماذا كان أمرهم فى روايته ؟ وهل ما روى منه قد جاء مطابقا لحقيقة ما نطق النبى به — لفظا ومعنى — أو كان مخالفا له ؟ وما هى العوامل التى تدسست إليه من أعدائه ، والمؤثرات التى أصابته من أهواء أوليائه، حتى رشيت بما ليس منه ، وتسرب إليه ما هو غريب عنه ! ثم فى أى زمن ابتدأ تدوينه ؟ وهل اتخذ ما دونوه — فى أول الأمر — طورا واحدا لم يتغير على مر العصور ، أو تقلب فى أطوار متعددة ! وفى

على أن تكون حصة إيران ١٤ ٪ من الأرباح ومد أجل الامتياز إلى ١٩٩١

إن كل قطرة من البترول تعادل قطرة من الدم ، وإنجلترا من أجل هذا حريصة على أن تبقى آبار البترول فى إيران تحت يدها ويضاف إلى هذا ما ترجحه بريطانيا من أموال طائلة . والإيرانيون الآن يرون أن بلادهم تفيض ذهبا ولكن هذا الذهب لا يذهب إلى جيوبهم وإنما يذهب إلى جيوب غيرهم من الأجانب، ومن ثم قاموا يطالبون حكومتهم بتصحيح الأوضاع ورد بضاعتهم إليهم ، ولن يكون ذلك إلا بإلغاء امتياز شركة البترول الإيرانية الإنجليزية التى زاد إنتاجها فى العام الماضى عن ٢٠ مليون طن من البترول وتأميم البترول، أى أن تصبح آباره مرفقا عاما من مرافق الدولة الإيرانية ومواردا من مواردها ؟ ألست ترى معى أنهم على حق ؟

وبدأت الحركة باغتيال رئيس الوزراء وقرر البرلمان الإيرانى موافقته على مشروع التأميم وثارت انجلترا وأرسلت بوارجها إلى الخليج الفارسى وحشدت روسيا قواتها على حدود إيران وما يزال الموقف مضطربا للغاية. وما يعلم إلا ربى وربك كيف تكون النهاية

أبو الفتوح عطيفة
مدرس أول العلوم الاجتماعية
بمعهود التابعية

---

(١) قال أحد كبار العلماء فى وصف علم الحديث : انه علم اصطلاحى محض يوعى بكد الحافظة ، ويستنبط بقوة الذاكرة ، فلا يستلهم الفكر النواس على حقائق المعقولات ، ولا الخيال الجوال فى جواء الخبرات

أية صورة خرج أخيرا للناس فى كتبه المعتمدة ، وماذا كان موقف علماء الأمة منه ، وما مبلغ ثقتهم به ، ومدى اختلافهم فيه ! بعد أن عراه ما عراه ، وتأثر بما تأثر به ؟ وما إلى ذلك من الأمور المهمة التى يجب أن يعرفها كل مسلم أو باحث قبل النظر فيه ، والأخذ بما تؤدى إليه ألفاظه ومعانيه

أما هـذا كله وغيره مما يتصل بحياة الحديث وتاريخه فقد انصرف عنه العلماء والباحثون ، وتركوه أخبارا فى بطون الكتب مبعثرة ، وأقوالا بين ضمائر الأسفار مستنسرة ، لا يضم نشرها كتاب ، ولا يعنى بتصنيفها باحث

نهى النبى عن كتابة حديثه وعمل الصحابة بذلك :

كان رسول الله صلوات الله عليه مبينا ومفسرا للقرآن بفعله وقوله ، ولكن أقواله فى هـذا البيان أو فى غيره لم تحفظ بالتدوين كما حفظ القرآن . وقد تضافرت الأدلة النقلية الوثيقة ، وتواتر العمل الصحيح على أن أحاديث الرسول (ص) لم تكتب فى عهده كما كان يكتب القرآن ، ولا كان لها كتاب يقيدونها عند سماعها والتلفظ بها كما كان للقرآن كتاب معروفون يقيدون آياته عند نزولها ، بل جاءت أحاديث صحيحة وآثار ثابتة تنهى كلها عن كتابة أحاديثه صلوات الله عليه إذا أوردناها كلها طال بنا القول فلنجتزئ بذكر نزر قليل منها :

روى مسلم وأحمد وغيرهما عن أبى سعيد الخدرى قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تكتبوا عنى شيأ سوى القرآن فمن كتب عنى غير القرآن فليمحه »

وأخرج الدارمى عن أبى سعيد كذلك : أنهم استأذنوا النبى (ص) فى أن يكتبوا عنه فلم يأذن لهم

وروى الترمذى عن أبى سعيد قال : استأذنا النبى فى الكتابة فلم يأذن لنا

وعن أبى وهب قال : سمعت مالكا يحدث أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب الأحاديث أو كتبها ثم قال : « لا كتاب مع كتاب الله »

وروى حافظ المغرب ابن عبد البر والبيهقى فى المدخل عن عروة : أن عمر أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب رسول الله فى ذلك — ورواية البيهقى — فاستشار فأشاروا عليه أن يكتبها ، فطفق عمر يستخير الله فيها شهرا ثم أصبح يوما وقد عزم الله له فقال : إنى كنت أريد أن أكتب السنن وإنى ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله — (وإنى والله لا أشوب كتاب الله بشئ أبدا) ورواية البيهقى « لا ألبس كتاب الله بشئ أبدا »

وروى الحاكم عن عائشة قالت : جمع أبى الحديث عن رسول الله فكانت خمسمائة حديث فبات يتقلب — قالت فغمنى كثيرا فقلت لشكوى أو لشئ بلغه ! فلما أصبح قال : أى بنية ، هلمى الأحاديث التى عندك ، فجئته بها فأحرقها وقال : خشيت أن أموت وهى عندك فيكون فيها حديث عن رجل ائتمنته ووثقت به ، ولم يكن كما حدثنى فأكون قد نقلت ذلك . زاد الأحوص بن الفضل بن عنان فى رواية : أو يكون قد بقى حديث لم أجده فيقال : لو كان قاله رسول الله

والأخبار فى ذلك كثيرة جدا لا نستزيد بإيرادها كلها رغبة الصحابة عن رواية الحديث ونهيهم عنها :

إذا كانت الآثار الصحيحة قد جاءت فى نهى النبى (ص) عن كتابة حديثه ، والأخبار الوثيقة قد تراوفت بأن صحابته رضوان الله عليهم قد استمعوا إلى نهيه ، ولم يكتبوا حديثه بعد موته ، — كما علمت مما مر بك — فإنا نجد هؤلاء الصحابة كانوا يرغبون عن رواية الحديث بل كانوا ينهون عنها ! وأنهم كانوا يتشددون فى قبول الأخبار تشديدا قويا

روى الحافظ الذهبى فى تذكرة الحفاظ قال ومن مراسيل ابن أبى مليكة أن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال : إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافا ، فلا تحدثوا عن رسول الله شيأ فمن سألكم فقولوا : بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه . وروى ابن عساكر عن عبد الرحمن بن عوف قال : والله ما مات عمر بن الخطاب حتى بعث إلى أصحاب رسول الله فجمعهم من الآفاق — عبد الله بن حذيفة وأبا الدرداء وأبا ذر وعقبة بن عامر — فقال : ما هذه الأحاديث التى أفشيتم عن رسول الله فى الآفاق ؟ قالوا : نهانا ؟ قال . أقيموا عندى ، لا والله لا تفارقونى ما عشت فنحن